✍ د.محمد الفاضل أحمد [(★)]

المقدمة:

رسالة الإسلام رسالة عالمية مليئة بالوسائل والأدوات التي تصلح لمخاطبة كل مجتمعات الإنسانية لم لا؟ وهي الرسالة الخاتمة المحتوية على **(تركت فيكم ما إن تمسكتم بها لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي).**[(١)]

والسنة صنو القرآن (أوتيت القرآن ومثله معه) هذه محاولة لاستكشاف بعض الأساليب الإقناعية في السيرة النبوية، وقد ترددت كثيراً في الكتابة عن هذا الموضوع لما أعلم أنه موضوع صعب يحتاج إلى شخص متمرس ومختص ولديه خبرة طويلة في مجال البحث حتى يستطيع أن يوفيه حقه من كل الجوانب العلمية ولكن ما لا يدرك كله لا يترك كله، فمن هذا الباب توكلت على الله، وجمعت هذه المعلومات راجياً من الله تعالى أن يكون هذا الجهد المتواضع فاتحاً لباب طالما هجر والتفت إلى غيره من حضارة غربية ليستقي منها الوسائل الدعوية والإقناعية في زمن غلب عليه الإعلام الغربي الذي يريد فرض ثقافته وعاداته وتقاليده، يقول الرب تعالى: چ

ى ى ې ې چ [(٢)]

إن سيرة النبي المصطفى ρ كلها دروس وعبر فهي مصدر الأسوة الحسنة التي يجب علينا أن نقتفيها فهي منبع الشريعة العظيمة التي ندين بها، فلم يحط بالعبرة والعظة من صار يتلوها في المواسم والمناسبات، ونتيجة لهذا الفهم رأيت أن أسهم في استعراض الأساليب الإقناعية التي كانت تفعل فعل السحر في الصحابة الذين آمنوا با ربا وبالنبي محمد ρ رسولاً ونبياً.

(★) عميد كلية الشريعة والقانون – جامعة سنار .

(١) سنن الترمذي- ج ٥/ ٦٦٣/ رقم الحديث ٣٧٨٨- اسم المحقق: أحمد محمد شاكر

(٢) الأحزاب: ٢١

وعلى طريقة الباحثين لا بد من التعريف بالموضوع ومفرداته وهذا يستلزم تقسيم الموضوع إلي مباحث.

المبحث الأول: التعريف بالأسلوب.

المبحث الثاني: نماذج من الأساليب النبوية.

المبحث الثالث: نتيجة الإقناع.

المبحث الأول
تعريف الأسلوب:

الأسلوب الطريق جمعه أساليب[1] وأيضاً الأسلوب صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص وهو ضرب من ضروب الفن ولكل فن أسلوب يختص به ويوجد على أنحاء متفرقة وله صفات مهمة، الوضوح والقوة والجمال والسهولة فإن لم يكن واضحاً ولم يكن قوياً في معانيه وركيكاً في تركيبه فمؤكد لا يخدم غرضه ولا يؤثر في المخاطب به.

وهذا الأسلوب بما أنه تراكيب لا بد له من معبر عنه. وهذا المعبر يسمى خطيباً والخطيب لا بد له من خطابة والخطابة هي: (قوة تتكلف الإقناع الممكن في كل واحد من المخاطبين وقد وجدت الخطابة قديماً مع الشعر وقد برع فيها العرب حيث جعلوها إحدى عددهم في الملمات والحوادث، كان من عاداتهم أن يقف خطيبهم على قدميه وأحياناً متكئاً ليخاطب سامعيه. وللخطابة منفعتان:-

[١] أن يحث الخطيب المدنيين على الأعمال الفاضلة وذلك أنهم بالطبع يميلون

(١) فريد وجدي: دائرة المعارف القرن العشرين، ٥/٢٢١

إلى ضد الفضائل العادلة، فإذا لم ينضبطوا بالأقاويل الخطيبة غلبت عليهم أضداد الأفعال العادلة.

[٢] أنه ليس كل صنف من أصناف الناس ينبغي أن يستعمل معهم البرهان(١) والخطابة عند أهل الهند، أن يكون الخطيب رابط الجأش ساكن الجوارح متخيراً للفظ، لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، والملك بكلام السوقة.(٢)

معلوم أن العلم بالشيء فرع عن تصوره فكانت التقدمة هذه لا بد منها لنتعرف على موضوع البحث فاتضح لنا جلياً أن الأسلوب هو طريقة الإقناع الذي لا بد له من مُبلِغ حتى يؤدي غرضه وهدفه يجب أن يكون مراعياً فيه ظروف وحالة المخاطب فرب مخاطب يعتمد على الجدل والمنطق الاستنتاجي لإقناعه ورب مُبلِغ يحتاج إلى الأسلوب البلاغي، وفي هذه الحيثية فالناظر إلى السيرة النبوية يلمس كل أنواع الأساليب الإقناعية لأن النبي ρ قد امتلك ناصية هذا الأمر، بل بالإضافة إلي ذلك فقد وصفه القرآن الكريم بالأخلاق الفاضلة چ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ں چ(٣)

وفي هذا السياق لا بد من إيراد هذا القول: (إن التاريخ لا تغيره أحداث عابرة أو أقوال جوفاء، وإنما يغيره القول الذي يحمل مثلاً خلقية أو قيماً اجتماعية أو آراء دينية ومبادئ فكرية، وهل تقوم الدول في التاريخ إلا على المبادئ وتنشأ الأمم إلا على الأخلاق)(٤). أما الإقناع كهدف من أهداف الرسالة المحمدية فهو ينبني على فكرة وكيفية نقلها إلي الآخرين، فالفكرة والربط بينها والتعبير ونقلها يحتاج إلى وسائل وأساليب فيحتاج إلى مخاطب وأداة تحفيز وتهيئة وقد ترجم هذا الكلام المختصون في الإعلام إلى مطلوبات الإقناع فالشخص المستهدف بالفكرة لا بد أن يراعى فيه:-

(أ) العوامل النفسية.

---

(١) المرجع نفسه، ٣/٧١٢-٧١٤- أنظر لسان العرب، تحت مادة (خطب).
(٢) المرجع السابق ٧١٤.
(٣) القلم: ٤
(٤) د. سعيد حسين منصور، القيم الخلقية في الخطابة العربية، ٩.

(ب) العوامل الثقافية والاجتماعية.
(ج) إنشاء المعاني [1] .

مما يجب التنبيه إليه في هذا المقام أن غاية كتابتي في هذا الموضوع الوقوف على الأساليب الإقناعية في السنة النبوية باعتبارها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي وبما أنها صنو القرآن الكريم فلا بد من الاستهداء بالسيرة النبوية ودراسة كيفية الاستفادة منها في الدعوة إلي الله تعالى استرشاداً بفعل النبي ρ وهو صاحب الرسالة الخاتمة، فمما لا شك فيه أن هذه الرسالة في منطوقها وعملياً فإنها تحمل كل الخير للبشرية فلكي يكون لنا خطاب إقناعي يجعل المتلقي قابلاً ومرحباً لدعوتنا ورسالتنا وخطابنا يتحتم علينا أن نرى كيف كان النبي ρ يسوس الناس وكيف بدأ رسالته لعشيرته الأقربين ثم انداح الخطاب الإعلامي الرسالي إلي المعمورة حتى صار المسافر من صنعاء إلي حضرموت وإلي مكة لا يخاف إلا الذئب على غنمه على الرغم من أنه كان هناك ذئاب من البشر. فكان مبتغاي من هذه الكتابة تلمس بعض الأساليب الإقناعية في السيرة النبوية.

فقد اتضح لي من العلم الحديث علم الاتصال أن الرسالة أو الخطاب يجب أن يلاحظ الآتي:
(أ) لغة الرسالة.
(ب) مضمون الرسالة.
(ج) حالة المخاطب.[2]

وصاحب الرسالة يجب أن يستخدم بعض هذه الأساليب أو كلها في آن واحد وهي:-
(أ) الأسلوب العاطفي.
(ب) الأسلوب العقلي.

---
(1) كتاب الأمة- ص ٣٢ العدد – ٩٥- ١٤٢٤ هـ .د. معتصم بابكر.
(2) د. علي عبد الحليم، عالمية الدعوة الإسلامية، ص ٣٨.

(ج) أسلوب الترهيب أو التخويف.[١]

وعند الحديث عن الأساليب الإقناعية في السيرة النبوية سيتضح لنا كل هذه الأساليب التي تحدث عنها علماء الإعلام وقد استخدمها النبي ρ على الرغم من أنه أمي ولكنه رسول معلم، علمه العليم الخبير.

معلوم أن الرسالة الإسلامية جاءت في جو كان مليئاً بالوثنية والجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء ، وفي هذا الإطار فإن الدارس للسيدة النبوية يجد أنها قد اشتملت على أصول الهداية في بناء الفرد والمجتمع والحضارة وتتجسد هذه الأصول في قوله تعالى: ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﭼ[٢]. والعدل من أسباب تعمير الأرض وراحة العباد، والعدل هو الأصل الجامع لكل المعاملات.

وبالإضافة إلي أصول الهداية فقد اهتم النبي ρ بتوطيد الرسالة على دعائم ثابتة فاهتم بعد الهجرة مباشرة بالأمور الآتية:-

[١] ربط الأمة المسلمة بربها فبنى المسجد.

[٢] صلة الأمة المسلمة ببعضها فتمت المؤاخاة.

[٣] صلة الأمة المسلمة بالأجانب الذين لا يدنيون بدين الإسلام [٣]. فكانت المواثيق والعهود مع اليهود الذين يقطنون المدينة المنورة وبهذا يكون قد أمن جبهته الداخلية بالتعبير المعاصر.

المبحث الثاني
نماذج الأساليب الإقناعية في السيرة النبوية:

ذكرت في المحور الأول أهم أساليب الدعوة والإقناع (العامل النفسي والعامل

---

(١) د. محي الدين عبد الحليم- الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية- ص ٤٠

(٢) النحل: ٩٠

(٣) محمد أبو زهرة خاتم النبيين ٥٥٦/١

الثقافي والاجتماعي).

بدأ النبي ρ دعوته لعشيرته الأقربين استجابة لنداء الرب عز وجل چ چ چ چ[1]. مستهدفاً للعامل النفسي والعاطفي (**يا بني فهر، يا بني عدي أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا ما جربنا عليك كذباً، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**) [2]

فالناظر لهذا النداء المحمدي أنه خاطب قومه وهو يعلم أنهم شعب مقاتل وأن العهد كان عهد غارات وثارات فكانت المقارنة بين الحرب والإغارة والرسالة الجديدة فهذا الخطاب كان واضحاً وقوياً ومفهوماً وسهلاً مشتملاً على كل عناصر الرسالة الإعلامية وقد لاحظ فيه صاحبه أيضاً الحالة النفسية للمخاطبين.

وقال أيضاً (**يا معشر قريش، اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا، يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئا، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنكم شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، يا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت، لا أغني عنك من الله شيئاً**)[3]

في هذا الخطاب الواضح قد استهدف أهله وهي صيحة عالية وغالية فأوضح لأقرب الناس إليه أن صلته وقرابته لا تشفع لهم وإنما هي أعمالكم تحصى عليكم وبها تجزون، فركز على الأسلوب العاطفي خوفاً عليهم أن يتكلوا على أن القربى تنفع وهذا الخطاب فيه رسالة واضحة لكل شخص يدعى أن النسب للصالحين يجدي نفعاً استدراراً لعاطفتهم فكان خطابه لقومه ثم أقربائه بالحذر الشديد من الغفلة وفيه حث على الإسراع بالدخول في هذا الدين الجديد.

ولما تزاحم الطرفان يوم بدر واتسع نطاق المعركة واقتربت من قمتها كان المسلمون قد أنهكوا الأعداء وألحقوا بهم الخسائر العظام وفي قمة هذا الجو

---

(1) الشعراء: ٢١٤

(2) خاتم النبيين ٣٢٢/١- أبو زهرة- صحيح مسلم ١٩٣/١- رقم الحديث ٢٠٨- اسم المحقق محمد فؤاد عبد الباقي

(3) محمد أبو زهرة خاتم النبيين- ص -٥٥٦/١.

المشحون بالنصر من جهة وبالخوف من جهة نادى النبي ρ والخطاب هنا مستقرئاً الحالة النفسية قال: (**أبشر أبا بكر أتاك نصر الله هذا جبريل آخذ بعنان فرسه يقوده على ثنايا النقع**)(١)

(**والذي نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة**) (٢) إنه لبيع رابح. فالتأمل في الآخرة هو بضاعة الأنبياء والصالحين، وقد عمل هذا الخطاب والأسلوب الجهور القوي المستلهم لتلك القيم فعل السحر في الصحابة ولما كانت النفوس كباراً تعبت في مرادها الأجسام، فالناظر هنا إلي الأسلوب الإقناعي يراه يختلف عن الخطاب الأول الذي كان موجهاً إلي العشيرة والقوم وكان ذلك يستهدف أبعاد قيمة القرابة والنهوض بالنفس إلي البذل الشخصي وإن هذه الرسالة ليست فيها إتكال على قبيلة أو عصبية، وهنا الأسلوب والمنطق يعتمد على تعلق الناس بالآخرة وأن ثمارها ليست كثمار الدنيا وإن الله تعالى اشترى من المؤمنين أنفسهم مقابل الموت في سبيله وذلك في قوله تعالى: ﭽ ۇ ۇ ۆ ۆ ۈ ۈ ۇٴ ۋ ۋ ۅۅ ۉ ۉ
ې ې ې ې
ى ى ئا ئا ﭼ(٣)

أنظر إليه عليه الصلاة والسلام يوم حفر الخندق كان ينشد الشعر المسجوع لدفع الناس وبث روح النشاط قال: البراء بن عازب: كان رسول الله ρ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغبر بطنه وهو يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلنْ سكينـة علينـا وثبِّت الأقدام إن لاقينا
إن الأولى لقد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا(٤)

(١) صحيح البخاري رقم الحديث ٣٩٩٦- كتاب المغازي- باب شهود الملائكة
(٢) خاتم النبيين ٦٣٠/٢
(٣) التوبة- ١١١
(٤) صحيح البخاري- كتاب الجهاد والسير- باب الرجز في الحرب- رقم ٣٠٣٤ وفيه أنه كان يرتجز برجز عبدالله بن رواحة

انظر إلى هذا الرجز وفي هذا الموقف ألم أقل إن النبي ρ كان معلماً عليه الصلاة والسلام يتخول الصحابة في أوقاتهم كل حسب حاله.

ومن الأساليب التي أمتاز بها النبي ρ القدوة العملية ويتضح ذلك في الحديثين الآتيين: عن أبي أمامة قال: **(إن فتى شاباً أتى النبي ρ فقال: يا رسول الله ائذن لي بالزنا فأقبل القوم عليه فزجروه قالوا: مه، مه؟ فقال: أدنه فدنا منه قريباً قال: فجلس قال: أتحبه لأمك؟ قال: لا، والله جعلني الله فداءك، قال: ولا الناس يحبونه لأمهاتهم، قال: أفتحبه لابنتك؟ قال: لا، والله يا رسول الله جعلني الله فداك قال: قال ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أفتحبه لعمتك؟ قال لا والله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، قال: فوضع يده عليه وقال: اللهم أغفر ذنبه وطهر قلبه وحصن فرجه، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلي شيء)** (١)

وأخرج البخاري أيضاً أن أبا هريرة رضي الهي عنه قال: **(قام أعرابي فبال في المسجد، فتناوله الناس، فقال لهم النبي ρ دعوه وأهريقوا على بوله سجلاً من ماء أو ذنوباً من ماء فإن ما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)** (٢)

من صفات القائد أن يكون شجاعاً رابط الجأش شديد الثقة في ربه، وفي غمرة الترحيب من الصحابة وهم يحفرون الخندق وحتى لا يدب الكسل فيهم عندما صعب عليهم كسر بعض الصخر قال يحدثهم: (أضاء لي في الأولى قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها. وفي الثانية أضاء القصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب، وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأضاء لي في الثالثة قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد ، موعود صادق(٣)

مؤكد أن هذه الكلمات التي تتحدث عن الغيب كانت بالنسبة للمخاطبين

---

(١) صحيح البخاري، رقم ١٨٩٤

(٢) صحيح البخاري- كتاب الوضوء- باب صب الماء على البول- رقمه ٢٢٠.

(٣) فقه السيرة- محمد الغزالي- ٣٢١.

كأنها قد وقعت بالفعل لثقتهم في قائدهم لأنه لا ينطق عن الهوى.

في هذه الرسالة قد انكشفت كل المدن التي سوف ينتصرون عليها متى حان وقتها وكل هذا التأكيد لم يجعلهم يتقاعسون بل كانوا أكثر حرصاً لتحقيق النصر بالصبر والتقوى.

والناس قد حوصروا عشرين ليلة وهم يدافعون عن المدينة المنورة وفي هذا الجو من الحصار ولما رأى النبي ρ الكرب والبلاء بالمسلمين أراد أن يبشرهم بقوله: **(والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة وإني لأرجو أن أطوف بالبيت العتيق آمناً وأن يدفع الله إلي مفاتيح الكعبة، وليهلكن الله كسرى وقيصر ولتنفقن كنوزهما في سبيل الله)**[1]

هكذا الثقة المؤكدة بل الرسالة تحتوي على التفاصيل الدقيقة على أماكن العدو وانهزامهم الذي لا شك فيه.

ثم أخذت الأساليب شكلاً آخر على حسب سلوك العدو، فكان الأسلوب أسلوباً خداعياً ومكيدة وحنكة ودهاء فابتعث نعيم بن مسعود فقال له: **(إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة)**[2]

ثم هنا يتحول الخطاب إلى اعتماد المنطق وإعمال الفكر فعندما نوى النبي ρ زيارة الكعبة المشرفة التي خرج منها مهاجراً أراد أن يعود إلى بيت الله المحرم ولكن تأبى قريش إلا اعتراض المسلمين فقام يخاطب هؤلاء القوم ويقول يا ويح قريش لقد أهلكتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين العرب، فإن هم أصابوني كان ذلك الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوهم وهم قوة فما تظن قريش؟ فو الله لا أزال أجاهد على الذي بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة).[3]

الرسالة هنا واضحة وأنها تستحث الناس على إعمال العقل والمنطق لأن أصحاب العقول هم الذين يفكرون في عواقب الأمور.

---

(1) خاتم النبيين ٩٧٦/٢- أبو زهرة - فقه السيرة - ٣١٢- الغزالي.
(2) فقه السيرة- محمد الغزالي- ٣٣٠ – صحيح ابن خزيمة، ٨٢/١، رقم الحديث ١٥٩.
(3) فقه السيرة- محمد الغزالي- ٣٩٠.

ومن الأساليب التي اهتم بها النبي ρ حسن اختيار من يقوم بالمهام الدعوية ولا سيما في أوقات الأزمات ويتمثل هذا في اختياره ρ لحذيفة بن اليمان ليستطلع أخبار الأحزاب (يوم الخندق).

وعند الالتفات إلى نموذج آخر من الرسائل التي تراعي نفسية الحكام والملوك أرسل رسول الله ρ إلى أمير البحرين المنذر بنساوَى وحمل الرسالة (العلاء بن الحضرمي) فقال له: (يا منذر.. إنك عظيم العقل في الدنيا، فلا تصغُرن عن الآخرة... إن هذه المجوسية شر دين... ليس فيها تكرم العرب، ولا علم أهل الكتاب، ينكحون ما يستحيا من نكاحه، ويأكلون ما يتنزه عن أكله، ويعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة ولست بعديم عقل ولا رأي فانظر: هل ينبغي لمن لا يكذب في الدنيا ألاتصدقه؟ ولمن لا يخون ألاتأمنه، ولمن لا يخلف ألاتثق به)[1] الناظر لمحتويات هذه الرسالة يرى أنها تحمل في طياتها احترام الملوك والرؤساء وبصورة غير مباشرة تزدري ما يعبدون وتزكي الدين الإسلامي وبعبارة اليوم نقول إن هذا سفير ناجح يمتلك حصافة الخطاب ويتعامل (بدبلوماسية) والنتيجة قد أسلم هذا المنذر بمعنى أنه تم تطبيع العلاقات بين دولة الإسلام ومنطقة البحرين وكان ذلك نتيجة (لدبلوماسية) الصحابي الجليل العلاء الحضرمي.

وهذه رسالة أخرى من نوع خاص وأسلوب من نوع خاص أيضاً صامت ولكنه معبر فعندما انتهى الأجل الذي ضرب بين المسلمين وأهل مكة وهو صلح الحديبية دخل المسلمون المسجد المكي فقال النبي ρ: وقد أخرج عضده اليمنى: (**رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة**)[2] وقد صارت الرسالة مخلدة إلي يومنا هذا حيث يمارسها المسلمون في كل طواف يهرولون حول الكعبة إحياء لذلك الأسلوب الذي يظهر قوة المسلمين وشوكتهم ومنعتهم وهو بلغة اليوم استعراض القوة.

---

(1) فقه السيرة – للغزالي – ص٣٣٧. وفي الروض الأنف ٣٩٠/٤

(2) فقه السيرة- للغزالي - ٣٩٤.

وتستمر الرسائل المحمدية، وهذا يستقل نفسية أبي سفيان المتوثبة للرئاسة والفخر وكان هذا عندما زحف الجيش الإسلامي من أجل فتح مكة وقد تمت مفاوضة بين النبي ρ وبعض أعيان قريش وكان فحوى الاتفاق أن يعطى أبا سفيان ميزة إرضاء له فقال رسول الله ρ: **(من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ومن أغلق بابه فهو آمن)**[1] فكان هذا الأسلوب غاية في الفهم العميق واستطاع أن يستقطب أحد رموز الأعداء وصاحب السطوة والقهر وهو سر الأمة فتم استقطابه وتحييده وكسب المسلمون الجولة وكان هذا الضمان قد أفاد كثيراً من الخائفين من أكابر القوم من دخل بيته ومنهم من دخل المسجد وكفى الله المؤمنين القتال وانكسرت شوكة القوم لأن القائد قد حيد، ومما زاد ثقة الأعداء أكثر في الرسول ρ وأصحابه رضي الله عنهم عندما أطلق الرسول ρ شعار العفو العام وذلك عندما قال:**(يا معشر قريش ما ترون إني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً أخ كريم وابن أخ كريم فقال: فإني أقول لكم ما قال يوسف لإخوته: لا تثريب عليكم اليوم، أذهبوا أنتم الطلقاء)**[2] فقد انتهج النبي ρ أسلوب دراسة نفسية الخصم ويتجلى هذا عند حضورهم لأداء عمرة الحديبية، فقد أرسلت قريش وفوداً عدة لاستجلاء هدف مجيء المسلمين على مكة وكانوا على أهبة الاستعداد للقتال وكان من ضمن رؤساء الوفود (الحليس علقمة) وهو سيد الأحابيش، فلما رآه النبي ρ قال: **(إن هذا من قوم يتألهون فأبعثوا الهدى في وجهه حتى يراه فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادي، عاد إلي قريش قبل أن يصل إلى رسول الله ρ إعظاماً لما شاهد فقال لهم: إن محمداً لم يأت لقتال وإنما جاء زائراً لهذا البيت)**[3] كيف لا وهو الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه وهو المبعوث متمماً لمكارم الأخلاق فمن عفى وأصلح فأجره على الله.

---

(1) فقه السيرة – الغزالي – ٣٩٤.
(2) فقه السيرة – المرجع نفسه – ٣٩٥.
(3) سيرة بن هشام- ٢٢٤/٢- أنظر فقه السيرة للغزالي ٣٢٥.

والعفو عند المقدرة خير من الانتقام. وهناك نموذج آخر من أساليب النبي ρ الإقناعية أرسل إلي نصارى نجران في الجزيرة العربية يدعوهم بدعوة الإسلام وكان محتوي الرسالة (**باسم إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب أما بعد.. فإني أدعوكم إلي عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد، فإن أبيتم فالجزية، فإن أبيتم فقد آذنتم بحرب، والسلام**)[1]

والرسالة واضحة المعاني والألفاظ وذلك لأنها استهدفت إقناع هؤلاء القوم إلي الدخول في الإسلام ولأنه كان دينهم تقديس الأنبياء والصالحين فكانوا يقولون إن نبي الله عيسى عليه السلام ابن الله. وقد حضر وفد من نصارى نجران للحوار مع النبي ρ (يسمى اليوم حوار الأديان).

وهاهي مضابط الحوار: من أبو عيسى؟ فرد النبي ρ (ألستم تعلمون أن الله حي لا يموت وأن عيسى يأتي عليه الفناء؟ قالوا: بلى، قال: فهل يملك عيسى من ذلك شيئاً؟ قالوا: لا، قال: ألستم تعلمون أن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء؟ قالوا: بلى، قال:فهل يعلم عيسى من ذلك شيئاً؟ إلا ما علم؟ قالوا لا، قال: ألستم تعلمون أن ربنا صور عيسى في الرحم كيف يشاء؟ وإن ربنا لا يأكل ولا يشرب الشراب ولا يحدث الحدث؟ قالوا: بلى، قال ألستم تعلمون أن عيسى حملته أمه كما تحمل المرأة ووضعته كما تضع ولدها. ثم غذى كما يغذى الصبي، ثم كان يأكل الطعام ويشرب الشراب، ويحدث الحدث؟ قالوا بلى، قال: فكيف يكون هذا كما زعمتم؟ فقالوا ألست تقول في عيسى (**أنه كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه؟ قال: بلى**)[2] فلما رأى النبي ρ أن الجدل يتمادى في القوم وأنهم مصرون على اعتبار عيسى إلهاً أو نداً قال: أقيموا غداً حتى أخبركم فأنزل الله تعالى چہ ۀ ۀ ہ ہ ہ ہ ھ ھ ھ ھ ے ے ۓ ۓ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ

(1) نور اليقين- ٣٠٩- فقه السيرة - رمضان البوطي- ٤٣٨.
(2) فقه السيرة – رمضان البوطي- ٤٤٠، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمد الحضري ٣٠٩.

ﭽ[١] . وكانت نتيجة هذا الحوار توقيع اتفاقية أفضت إلى دخولهم في حماية الدولة الإسلامية وقد احتوى هذا الميثاق من الأساليب المحفزة للعدو أن يرضى به مما فيه من إنصاف، وجدير بأن يدرج في المواثيق ذات الدلالات القيمة. (إن لنصارى نجران جوار الله وذمة محمد النبي، على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم وغائبهم وشاهدهم، وعشيرتهم وتبعهم، وألا يغيروا مما كانوا عليه، ولا يغير حق من حقوقهم ولا ملتهم، ولا يغير أسقف من أسقفيته ولا راهب من رهبانيته، ولا ما تحت أيديهم من قليل أو كثير وليس عليه ريبة ولا دم جاهلية ولا يحشرون – الجواد – ولا يعشرون – الزكاة- ولا يطأ أرضهم جيش، ومن سأل منهم حقاً فبينهم النصف غير ظالمين ولا مظلومين ومن أكل ربا فذمتي منه بريئة ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر، وعلى ما في الصحيفة جوار الله وذمة محمد رسول الله حتى يأتي الله بأمره وانصحوا وأصلحوا فيما عليهم غير منقلبين بظلم [٢]

وعلى الجملة يمكن إيراد مجموعة الأساليب منها:-

[١] أسلوب التعايش مع الخصم المخالف:

لما عزم النبي ρ على غزو منطقة تبوك وقد كانت تحت سيطرة الرومان، بدأ المنافقون في المدينة المنورة في بحث الأسباب للتخلف عن الذهاب مع الجيش الإسلامي وهم مسرورون بهذه الخصومة الجديدة ويحسبون أن مقبرة الإسلام ستكون في تبوك، ولكن رغم هذا الخلاف تعايش النبيρ مع هؤلاء القوم ولم يقم بمعاقبتهم عندما أتى ظافراً من تبوك[٣]

[ب] سماع المخالف وقوة التفاوض:

جاء عتبة بن ربيعة وكان سيداً ذا بصيرة ورأي في قومه، وقد جلس إلى رسول الله ρ فقال يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من الشرف في العشيرة

---

(١) آل عمران: (٥٩-٦١).
(٢) نور اليقين - ٤٤٢.
(٣) مجلة البيان – العدد (٢٠٢) يوليو – أغسطس- ٢٠٠٤.

والمكانة في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم، فأسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها، ثم يذكر من أمور الدنيا من ملك ومال وتناوب في السلطة والحكم ولما انتهى قال له الرسول ρ أفرغت يا أبا الوليد[1]

[ج] أسلوب تصحيح التصورات الخاطئة في أذهان المدعوين:

كان ρ يقوم بتقويم وتوضيح السلوك في مواقف ذات احتمالات متعددة كما حدث في ليلة كان يرافق فيها إحدى زوجاته وهي صفية وقد شاهده صحابيان فقال على رسلكما إنها صفية ويتضح موقف آخر يقوم فيه بتصحيح أخطاء المدعوين عن طريق تغيير تصوراتهم من خلال فتح باب الحوار معهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن كما في قصة الأعرابي الذي كان يريد قضاء حاجته في المسجد.

[هـ] ومن الأساليب منع ما من شأنه أن يثبط الهمم:

كان ρ حريصاً على جمع الكلمة ويمنع كل ما من شأنه أن يفت في عضد المجتمع المسلم في الأوقات العصيبة والأزمات ومواجهة الأعداء ويتمثل هذا في قصة حاطب بن أبي بلتعة عندما أخبر رسول الله ρ أصحابه عزمه على فتح مكة، فقام حاطب بن أبي بلتعة بمخابرة قريش بهذه النية جاء في كتاب (فقه السيرة) عن هذا الموقف: وقع في هذه الفترة الدقيقة حادث مستغرب فإن رجلاً من أهل السابقة في جهاد المشركين تطوع بإرسال كتاب إلى قريش يخبرهم فيه أن محمداً سائر إليهم بجيشه، وعندما سئل لماذا فعل هذا قال إني كنت امرأ حليفاً لها ولم أكن من صميمها فأحببت إن فاتني النسب فيهم أن أتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي ولم أفعله ارتداداً عن ديني[2]. فلم يعاقبه النبيρ حتى يحدث فتنة في المجتمع الإسلامي وقد نزل فيه قرآن يتلى كما في قوله

---

(1) فقه السيرة، د. رمضان البوطي.
(2) صحيح البخاري - كتاب المغازي – باب فضل من شهد بدراً - رقم الحديث ٣٩٨٢ ، فقه السيرة، ٤٠٦، د. رمضان البوطي.

تعالى:

چ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ
ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ چ چ چ چ چ چ
ڇ ڍ ڍ ڇ (١)

(١) الممتحنة – (١)

المبحث الثالث
نتيجة الأساليب الإقناعية في السيرة النبوية

الناظر لما كان يحدث أيام البعثة النبوية ونتيجة لدعوته لكل الأمم والأقوام من عشيرته حتى الأمم أن أسلوبه يتنوع حسب المخاطبين فرداً أو دولة أو قبيلة أو ملكاً أو رئيساً والمتتبع لهذا الأسلوب يخرج بالنتائج الآتية:
[١] دخول الأفراد في الإسلام.
[٢] دخول القبائل في الإسلام.
[٣] دخول أصحاب ديانات في الإسلام والرسائل إلى الملوك وتوقيع مواثيق بينه وبينهم.

لو رجعنا إلى نتائج الرسائل والدعوات التي وجهت للأفراد نجد أنها قد أتت أكلها وقد كان هناك أفراد كانوا أشد حماساً للإسلام والمنافحة عنه فإذا أقبل إنسان بفكره وعقله وقلبه على معتقد فإنه قطعاً سيهب له نفسه وماله وهذا يتجسد لنا عندما خطب النبي ρ في يوم واقعة بدر قائلاً: **(والذي نفس محمد بيده لا يقاتله اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر إلا أدخله الله الجنة)**[1] فقد انبرى أحد الصحابة عندما سمع هذا القول قائلاً بخ بخ ! فدخل المعركة فقتل وكان ينشد:

ركضاً إلى الله بغير زاد — إلا التقى وعمل المعاد
والصبر في الله على الجهاد — وكل زاد عرضة للنفاد
غير التقى والرشاد[2]

وكان هذا الصحابي عمير بن الحمام الأنصاري، وهذا حنظلة غسيل الملائكة وهو حديث عرس لما سمع هاتف الحرب دخلها فمات شهيداً [3] وهذا عمرو بن الجموح وهو رجل أعرج يطلب من النبيρ السماح له بالخروج يوم

(1) فقه السيرة، رمضان البوطي - ٢٦٤.
(2) نفس المرجع – ٢٧٣.
(3) خاتم النبيين – ١١٠٠.

أحد، وقال للنبي ρ أرجو أن استشهد فأطأ بعرجتي هذه الجنة. فقتل شهيدا [1] وهذا نعيم بن مالك ينادي رسول الله ρ: يانبي الله لا تحرمنا الجنة، فو الذي نفسي بيده لأدخلنها فقال له رسول الله ρ: **(بم؟ قال: بأني أحب الله ورسوله، ولا أفر يوم الزحف، فقال له رسول الله عليه السلام: صدقت)** فاستشهد[2].

فهذه صور للبطولة والشجاعة ورباطة الجأش أنتجتها تلك الرسائل الدعوية للنبيρ فها هي قبيلة سعد بن بكر (ضمام بن ثعلبة) ترسل موفدها للتحاور مع النبي ρ وقد جرى حوار مطول حتى أسلم رئيس الوفد ورجع إلى أهله فلم يبق في القبيلة إلا مسلم.[3]

وقد توالت الوفود على صاحب الرسالة ρ رغبة منهم في فهم الرسالة الجديدة ولينذروا أقوامهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ويهتدون ومن هذه الوفود إضافة إلى وفد قبيلة سعد بن بكر، وفد بني أسد، وتميم ومزينة وفزارة ، ومرة و كلاب وثقيف وكنانة.[4]

يقول في هذا المقام الشيخ ابن عبد الوهاب: (لما تم فتح مكة ودانت قريش عرفت العرب أنهم لا طاقة لهم بحرب رسول الله ρ فدخلوا في دين الله أفواجاً)[5].

فقد أمن النبي ρ بعد توقيعه صلح الحديبية جانب قريش واستتب الأمن الداخلي فخلص إلى مخاطبة جيرانه من الملوك والرؤساء يبشر بالرسالة الجديدة.

وقد أدت هذه البعوث أكلها بدخول المدعوين في الإسلام أو توقيع

---

(1) فقه السيرة الغزالي – ٤٣٦.

(2) مقتصر سيرة الرسول ρ ٥٣٤. سيرة ابن كثير ٢٤/٣

(3) محمد الغزالي، فقه السيرة، حاتم النبين محمد أبو زهرة، ١١٠١/٢ الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العلمية محي الدين عبد الحليم، ٤٦٢.

(4) مختصر سيرة الرسول ρ ٥٣٤ نور اليقين ٣١٦.

(5) نور اليقين. محمد الحضري، ٢٢٧.

ميثاق بوقف العدائيات، فبدأ بالملوك، فأرسل موفده إلى ملك الروم (قيصر) ومحتوى الكتاب:- (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من أتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام اسلم تسلم يؤتيك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإنما عليك إثم الأريسيين[1]

ﭽ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﭼ[2]وقد أدت الرسالة مفعولها في الملك ورعيته حيث

خاطب قومه قائلاً (يا معشر الروم هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ فلما رأى عدم الرضاء فيهم قال: (إني قلت مقالتي أختبر بها شدتكم على دينكم فسكتوا. [3] ودونك أيضاً كتابه ρ إلى كسرى ملك الفرس

عظيم فارس. علماً بأن الرومان والفرس في ذلك الوقت كانتا أعظم قوتين. **(بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى وآمن با ورسوله وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين اسلم تسلم، فإن أبيت فإنما عليك إثم المجوس)** [4]

ثم توجه إلى مخاطبة الأمراء فنجد كتابه إلى المنذر بن ساوي، فكلف العلاء بن الحضرمي وجاء فيه: **(بسم الله الرحمن الرحيم اسلم أنت، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: فإن من صلى صلاتنا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم له ذمة الله وذمة الرسول، ومن أحب ذلك من المجوس فإنه آمن ومن أبى فإن عليه الجزية)** [5] وقد أدى السفير مهمته

([1]) صحيح البخاري، رقم الحديث ٢٩٤١ – الأرسيبين تعني الفلاحين.
([2]) (آل عمران: ٦٤).
([3]) نور اليقين، ٢٢٨، خاتم النبيين، ٩٧٢/٢.
([4]) نور اليقين، ٢٣٤، خاتم النبيين، أبو زهرة ٩٧٤/٢. فقه السيرة الغزالي ٣٦٧.
([5]) صحيح البخاري، رقم الحديث ٢٩٣٩، ٤٤٢٤.

بكفاءة وأسلم المنذر وقومه ولكن الملاحظ أن ملك الفرس لوجود الشرك بالإضافة إلى الاعتزاز بقوته ومنعته مزق كتاب رسول الله ولكن كانت النتيجة أن دعا عليه النبي ρ بقوله: (مزّق الله ملكه كل ممزق) وقد صدق قوله تعالى چ ے ے ۓ ۓ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ چ[1] فكان قيصر أحسن استقبالاً بل قيل إنه تحدث مع قومه داعياً لهم بالنظر في هذا الدين الجديد كما أشرت سابقاً.

وقد توالت الوفود إلى النبي ρ إسلاماً وهذه نتيجة لما بذل من البعوث وكانت النتيجة الإيجابية والاستجابة التلقائية، فنجد وفد الأزد وقد أختبرهم النبيρ عن حقيقة إيمانهم فقالوا
: خمس عشرة خصلة منها جاء بها رسلك أن نؤمن بها، وخمس أمرتنا أن نعمل بها وخمس تخلقنا بها في الجاهلية، فقال عليه الصلاة والسلام: فما هي الخمس التي أمرتكم بها رسلي أن تؤمنوا؟ قالوا أمرتنا أن نؤمن با وملائكته ورسله واليوم الآخر، وأن نؤمن بالقدر خيره شره، فقال عليه الصلاة والسلام والخمس التي أمرتكم أن تعملوا بها قالوا قد أمرنا أن نقول: لا إله إلا الله ونقيم الصلاة ونؤتي الزكاة ونصوم رمضان وحج البيت الحرام لمن استطاع إليه سبيلا، فقال عليه الصلاة والسلام وأما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية؟ فقالوا: الشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء، والرضاء بالقضاء، والصدق في مواطن اللقاء وترك الشماتة بالأعداء)[2]

وهذا وفد وائل بن حجر الذي أتى مسلماً ومن ورائه أتباعه من اليمن ويدعو له النبي ρ له وذريته بخير(**اللهم بارك في وائل وولد ولده**) [3]. وهذا وفد النخع يأتوا في مائتي رجل وكان إسلامهم نتيجة لمجهودات الصحابي

---

(1) المائدة: ٨٢).
(2) خاتم النبيين ١١٥٠/٢ – ١١٥٢، أبو زهرة، ٢.
(3) خاتم النبيين/ ١١٥٠/٢ – ١١٥٢ أبو زهرة، ١٢٥٠.

الجليل معاذ بن جبل[1].

وخلاصة القول أن النبي ρ بما منحه الله تعالى من قدرة في الإقناع من قوة الحجة بالمنطق لم يألو جهداً في دعوة الناس كل حسب معتقده وأخلاقه وأعرافه وقد سلك في خطابه للناس كل مسالك الدعوة، سواء كان الشعرية كما كان يأمر الصحابي الجليل حسان بن ثابت أن يدفع عن الإسلام بالشعر وأيضاً كعب بن زهير وأحياناً يستعمل أسلوب الخطابة وكانت أكثر فاعلية [2] وكان النداء للصلاة في البيئة المحيطة بما له أثر كبير في لفت أنظار المشركين فالآذان أحد أدوات الإعلام والاتصال الإسلامي بالجماهير، وكان ρ يرتاد الأسواق وينادي: **(يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا وتنجحوا)** [3]

فإذاً لم يترك خطاب الاتصال الشخصي أو عبر الرسالة فكان ρ يلاحظ في رسالته مخاطبة الناس في هذه الإمور[4]

(١) لغة الرسالة (٢) مضمون الرسالة (٣) مستويات المخاطبين.

ويستعمل الحجة الصامتة التي تتمثل في القدوة الحسنة، وقد وصفه الله تعالىچ ى ى ي ي
چ[5].

في محصلة هذه الورقة أن الإسلام غني بأساليبه المتعددة لإقناع الآخرين ولديه من الأدوات التي تحتاج فقط إلى من يحملها بحقها مقتدياً في ذلك بنبي الرحمة سلوكاً وقولاً وفعلاً، لأن النبي ρ كان خلقه القرآن.

في هذا المقام أحمد الله الذي تتم بنعمته الصالحات حمداً يكافئ مزيده ويوافي نعمه وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وفاتحاً شهية الدارسين

---

(١) نفس المرجع ١١٥٠ .
(٢) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العلمية – محي الدين عبد الحليم – ١٥٥.
(٣) صحيح ابن خزيمة رقم الحديث -١٥٩.
(٤) الإعلام الإسلامي وتطبيقاته – ١٥٥.
(٥) الأحزاب الآية ٢١.

للبحث في السيرة النبوية وسبر غورها بكثير من مستحدثات العصر.

الخاتمة

وتحتوي على الآتي:

١ – لا بد لكل باحث في العلاقات الدولية أن يقرأ السيرة النبوية ليرى كيف كان التعامل في عهد النبوة.

٢ – السيرة النبوية هي حياة الرسول ρ العملية.

٣ – السيرة النبوية هي التطبيق العملي لأحكام القرآن.

٤ – لا بد لكل باحث في الاقتصاد أن يقرأ السيرة ليرى بأم عينه كيف كان يدار الاقتصاد في عهد النبوة.

٥ – لا بد لكل باحث عن مقومات النصر على الأعداء من قراءة السيرة.

٦ – لا بد لكل باحث في القانون الدولي الإنساني أن يقرأ السيرة كيف كان يعامل الأسرى.

٧ - لابد لكل باحث في كيفية الحفاظ على حقوق الإنسان أن يقرأ السيرة.

التوصيات

١ - نوصي بإقامة مركز أو معهد لدراسة السيرة النبوية.

٩ – نوصي بإدراج دراسة السيرة النبوية في العلوم العسكرية والاستخباراتية.